اصل التلغراف وانواعهُ

اقدم ما اصطلح عليهِ الناس في سرعة ايصال الاخبار استخدام الصوت فكان الملوك يقيمون مراقب متعددة بين المكانين المراد ابلاغ النبأ من احدهما الى الآخر فيُطلَق النداَء من مرقبٍ الى الذي يليهِ حتى ينتهي الى الموضع المقصود وهو ما فعلهُ دارا الاكبر في ايام الحروب المادوية فكان الخبر يصل من اثينا الى سوزا في مدة ثمانٍ واربعين ساعة . ثم اصطلحوا على ايقاد النيران على نحو ما كانوا يفعلون في الصوت فاذا اضاءَت النار في مرقبٍ اوقدت في الذي يليهِ الى ان تبلغ آخر الخطّ . قيل واول مرةٍ ذُكر استخدام النار لهذا الغرض في شعر اوميروس عند ما ارسل بلاميد خبر اخذ طروادا الى الملكة كليتمنَسْتر في ارغوس وقد عيَّن لذلك تسعة مراقب على القمم التي بين جبل إيدا بآسيا وجبل أرَخنا ببلاد اليونان . الا ان كلا الاصطلاحين لا يحتمل ان يُرسَل بهِ الا الاخبار المتواطأ عليها من قبل فهي لا تعدو الايذان بوقوع حادثٍ او نفيهِ

ولبث الامر مقصوراً على مثل ما ذُكر الى القرن الثالث قبل الميلاد حين تنبه كليوكسان ودموكليت مهندسا فيلبس الخامس ملك مكدونيا الى التوسع في امر الانباء فاستخدما لذلك مصابيح تظهر وتخفى يُرمَز بها الى حروف الهجاء وقسما الحروف الى خمسة اقسام جعلا كل قسمٍ منها عموداً على الترتيب . فاذا اراد صاحب المرقب ان يخاطب الذي يليهِ رفع الى شمالهِ مصابيح بعدد العمود الذي فيهِ الحرف الاول من كلمتهِ والى يمينهِ

مصابيح تشير الى عدد ذلك الحرف من العمود نفسه ثم انتقل الى الحرف الثاني والثالث حتى يأتي على آخر عبارتهِ ٠ وهذه الطريقة مع ما فيها من الطول فانها كانت وافيةً بغرض التخاطب يُرسَل بها جميع الكلام الذي يراد

اما الرومان فلم يعرفوا هذا النوع من التلغراف الا في اثنآء الحرب بينهم وبين قرطاجنّة قيل اخذوهُ عن انيبال وقد كان يستعملهُ في جيشهِ وقيل عن پوليبوس اليوناني وكان على بيّنةٍ من الاختراع المكدوني المذكور وذلك في اواخر القرن الثالث قبل الميلاد ٠ وبعد ذلك انشأ الرومان خطوطاً لعلاماتٍ من هذا النوع على جميع الطرق المؤدّية الى الثغور والى اليوم لا يزال شيءٌ من الابراج التي بنوها لهذا الغرض ٠ الا انهُ في مدة القرون الوسطى أُهمِل امر التلغراف كما أُهمل غيرهُ من الفنون وجلّ ما ورد من ذكرهِ ان اليونان في بزنطيا والعرب في الاندلس كانوا يتخاطبون نهاراً بواسطة الألوية وليلاً بواسطة النار

ثم انهُ في القرن الخامس عشر والسادس عشر وهو الزمن المعروف عندهم بزمن البعثة مال الناس الى دراسة علم البصريات فتنبهوا لأمر التلغراف الا انهم لم يخرجوا بهِ عن حدّ النظر ولم يُحدِثوا فيهِ زيادةً على ما بلغ اليهِ المكدونيون الا ما لا يستحق الذكر ٠ وفي اواخر القرن السابع عشر خطر للدكتور هوك احد علمآء الطبيعة من الانكليز ان يعدل عن الطريقة المتعارَفة فيهِ الى صنع حروفٍ ضخمة يمكن ان تُرَى من مسافةٍ بعيدة يمثّل الحرف منها بعد الحرف في جهازٍ مخصوص لكن وُجد من النقص في هذه الطريقة مع صعوبة استعمالها ما منع من اخراجها الى العمل

حتى اكملها في نحو ذلك العهد واحدٌ من علمآء الفرنسيس يقال لهُ غليوم أمُنتون فارتأى ان تُستعمل مع الحروف المذكورة المناظير المقرّبة تسهيلاً لادراك العلامات عن بعد وهذا اهمّ ما غفل عنهُ هوك . وهناك تفاصيل اخر تكميلية منها ان تكون العلامات بحروفٍ رمزية لا يُعرَف سرّها الا في المركزين المتخاطبين وان تُرسَل الكلمات حصّةً لحصّة فتتناقل بين المراكز المتوسطة على التوالي بحيث انهُ اذا كان الخبر مرسلاً من باريز مثلاً الى رومية لا ينتهي الارسال من باريز حتى يكون اكثر الخبر قد وصل الى رومية . فوافق ذلك اعجاب كل من وقف عليهِ من ارباب العلم ورجال الدولة واعتُبر ان هذا الاختراع قد بلغ تمامهُ الا انهُ لم يُستعمَل في ذلك العهد الا على سبيل الفكاهة والتجربة لان الحكومة لم يعرض لها من الدواعي ما يضطرها الى استعمالهِ

واول تلغرافٍ من هذا النوع استُعمل بعد ذلك كان بين باريز وليل وكان تمام انشآئهِ في اواخر سنة ١٧٩٤ اي بعد مئة سنة من ذلك التاريخ فكان اول خبر أُرسِل بهِ نصرة فرنسا على النمسا في ٣٠ نوفمبر من تلك السنة وكان وصول الخبر الى باريز وردّ جوابهِ في بضع دقائق . ولما تحقق لهم نفعهُ باشروا انشآء خطوطٍ أُخرَ تجمع الثغور الى العاصمة ثم انتشر استعمالهُ في سائر الممالك فانشئت منهُ خطوطٌ لا تُحصَى وهو المعروف بالتلغراف الهوآئي والتلغراف البَصَري

ويتألف الخط من هذا التلغراف من عدة مراكز او غايات بين الواحد منها والذي يليهِ مقدار ما يتناول المنظار المقرِّب وفي كل مركزٍ بنآء

يتصل بسطحهِ عمودٌ طويل قد رُكزت في منتصفهِ عارضة افقية تتحركُ على محورٍ في وسطها وفي كلٍّ من طرفي العارضة ذراعٌ قائمة تتحركُ كذلك بحيث يمكن ان يؤلف من كلٍّ من العارضة والذراعين مع العمود المتوسط زوايا مختلفة المقاييس والاشكال اتخذوا منها رموزاً الى كل حرفٍ من حروف الهجآء وما يتصل بها وهذه القطع كلها تحرَّكُ بآلاتٍ مؤلفة من بكر وحبال موضوعة في داخل البنآء في تفصيلٍ طويل لا حاجة اليهِ هنا

وقد تفننوا بعد ذلك في هذا التلغراف تفنناً عجيباً وقلَّبـوهُ على عدة اشكال بعضها اخصر من بعض الا انهُ مع كل ما بُذِل فيهِ من العناية والنفقة لم يزل فيهِ شيءٌ من النقص لانهُ اذا كان الوقت وقت دجنٍ وضباب لم يُستطَع إعمالهُ وكذلك في الليل . وقد حاولوا ان يعملوهُ ليلاً بأن ينيروا المراكز بالمصابيح الكافية لاظهار العلامات ولكن وجدوا في ذلك من لزوم زيادة العناية وتكثير العمَّال والنفقات ما اضطرهم الى الاحجام عنهُ وبقيت هذه الضرورة الى ان اختُرع التلغراف الكهربائي فلم يُبقِ في النفس حاجة

ومن قبيل التلغراف الهوآئي العلامات التي يتخاطب بها اصحاب السفن في البحر وهي ولا شك مما اصطُلح عليهِ من عهدٍ قديم لكن ذلك مما ذهبت آثارهُ مع الزمن فلا يُعرَف كيف كان اصطلاح الاولين فيهِ ولعلهُ لا يعدو ما كان عليهِ اهل الاعصر الوسطى فانهم كانوا يستخدمون الألوية والأشرعة نهاراً والمصابيح ليلاً كما جآء وصف ذلك في كتابٍ دوَّنهُ احد امرآء البحر من الاسبنيول المسمى فبريكو سنة ١٣٤٠ . وهو لا يبعد عن

المصطلح عليهِ اليوم الا ان المتأخرين احدثوا فيهِ تنقيحاتٍ وزياداتٍ شتى وربما جعلوا المصابيح ليلاً في زجاجٍ مختلف الالوان على نحو ما يُستعمَل في سكك الحديد ومناور الثغور البحرية وغيرها للدلالة على معانٍ مقصودة

ومن انواعهِ التلغراف الحربي وكان المستعمل منهُ قديماً نفس التلغراف الليلي الذي تقدم ذكرهُ من اختراع المكدونيين ولبث الاستعمال مقصوراً عليهِ الى ان ظهر اختراع التلغراف الهوآئي فعدِل اليهِ وهو المستعمل عند الالمان الى هذا اليوم غير انهم طبقّوا علاماتهِ على علامات التلغراف الكهربآئي فجعلوا دلالتهُ على نقط وخطوط ولذلك اقتصروا فيهِ على عمود يتصل بهِ ذراعان متحركتان فاذا كانت الذراع افقية دلت على الخط او منحرفة على ٤٥° دلت على النقطة وحينئذٍ فاما ان يُستعمَل عمودان معاً ليمكن ان يدل بهما على جميع الحروف او عمودٌ واحد ذو اربع اذرع . وهذا الاصطلاح نفسهُ يستخدمونهُ في الرايات بان يحمل الرجل بيدهِ راية صغيرة فاذا اراد الدلالة على النقطة جعل رمحها قائماً او على الخط جعلهُ افقياً . وقريبٌ من هذا اصطلاح الفرنسيس لكنهم يستخدمون في ذلك رجلين يقف احدهما بجانب الآخر يعملان معاً فيمثلان العمودين المذكورين في اصطلاح الالمان ويكون بيدَي كلٍّ منهما رايتان يدلان بهما على العلامات الا ان الدلالة عندهم للراية لا للرمح فاذا كانت الراية عمودية دلّت على النقطة او افقية فعلى الخط . واما الانكليز فلهم في ذلك اصطلاحٌ آخر وذلك ان حامل الرايةُ عندهم يحملها عادةً ويلقيها على كتفهِ اليسرى وهي في هذه الحال لا تدل على شيء فاذا اراد ان يدلّ على النقطة حوّل الراية عن كتفهِ

اليسرى الى اليمنى ثم ردها الى ما كانت عليهِ واذا اراد الدلالة على الخط نكسها بيدهِ الى الجهة اليمنى حتى تمس الارض ثم رفعها فردَّها الى وضعها الاول . وقد تفننوا في هذه الدلالات على وجوهٍ واصطلاحاتٍ شتى مرجع اكثرها الى مثل ما ذُكر فلا حاجة الى الاطالة باستقصآئها

(ستأتي البقية)

الحجارة في غذآء الطير

كثيراً ما يُرَى حجارةٌ في مِعَد بعض الطير كالحجل والنعام وغيرهما واكثر ما تكون تلك الحجارة من الصوَّان ونحوهِ من الصخور الشديدة الصلابة وقد يكون هناك قِطَعٌ من الزجاج وربما وُجد قطع من الحديد او غيرهِ من المعادن . وقد خفي السبب في التقاط الطير لهذه الموادّ على اكثر الناس حتى اشتهر على أَلسنة العامة بل ربما وقع في اعتقاد اناسٍ من الخاصة ان معدة الحجل والنعام تهضم الحجارة . قال الدميري في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى في الكلام على النعامة وتبتلع العظم الصلب والحجر والمَدَر والحديد فتذيبهُ وتميعهُ كالمآء . ثم قال قال الجاحظ من زعم ان جوف النعام انما يذيب الحجارة لفرط الحرارة فقد اخطأَ ولكن لا بدّ مع الحرارة من غرائز أُخر بدليل ان القِدر يوقد عليها الايام ولا تذيب الحجارة وكما ان جوف الكلب والذئب يذيبان العظم ولا يذيبان نوى التمر الى آخر ما قالهُ . والصحيح غير ذلك لما تحقق من مباحث علمآء الحيوان من المتأخرين وقد عثرنا لبعضهم على فصلٍ مطوّل ذكر فيهِ عدة امتحاناتٍ لهُ في هذا

المعنى فاحببنا ان نذكر خلاصتهُ في هذا الموضع افادةً للقرآء

وذلك انهُ كان مرّةً يفحص جثة نعامةٍ ميتة فلما شق معدتها وجد فيها كثيراً من قِطَع الاجسام الصلبة كالحجر والحديد والزجاج وغيرها وكانت كلها مجتمعةً في مكانٍ واحد من يمين المعدة عند الفوّهة المسمأة بالبوّاب ووجد بين تلك الموادّ شفرةً من الحديد طولها ٨ ميليمترات في ٣ عرضاً وهي ناعمة الملمس لامعة كانها قطعة سلاح خارجة من يد الصيقل . قال فتبين لي من اجتماع هذه الاجسام كلها في مكانٍ واحد بين البوّاب والموادّ الغذآئية ان منفعتها تفتيت هذه الموادّ وطحنها حتى تصير صالحةً للهضم المِعَوي فهي في معدة الطائر بمنزلة الاضراس في فم الانسان وسائر ذوات الثُديّ. وقد تأملت الطعام الذي في جوفها فوجدت ما بين تلك الاجسام منهُ مجزّأً اجزآء دقيقة وسائرهُ وهو الباقي الى شمال المعدة اعشاباً صحيحة وهو مما يؤيّد ما ذكرتهُ الى ما لا يحتمل الريب

قال ومن هنا تعلم ان كل نعامةٍ صحيحة الجسم لا بد ان يكون في معدتها مقدارٌ من الحجارة ونحوها ليتمّ اغتذآؤها بما تتناولهُ من النبات والاّ غلب عيها الهزال جوعاً حتى تموت . ثم ذكر من شواهد ذلك نعامةً جُلبت من غربي افريقيا الى معرض الحيوانات في باريز فماتت بعد ايام من وصولها وكانت في منتهى الهزال فلما شُقّت معدتها وُجدت ملأى بالعشب اليابس الا انهُ برمتهِ صحيحٌ وقد طُوِي بعضهُ على بعض ووُجدت بينهُ حصيّات من الحجارة قليلة متفرقة بحيث لم يكن من الممكن ان تقوم مقام الاعضآء الماضغة فتبين من ثمّ ان النعامة كانت قد تناولت غذآء كثيراً

ولكنها لم تستطع ان تتناول منهُ فائدةً فماتت جوعاً

قال ولا جرم ان هذا الذي ذكرتهُ من اصطكاك الاجسام الصلبة في ناحية البواب ليس مما يمكن ان يُرَى بالعين ولكن يمكن ان ندركهُ بالسمع واذا اردت ان تتحقق ذلك فامسك ديكاً واجعل اذنك على ظهرهِ في وقت الهضم المَعَديّ فانك تسمع هناك صوت احتكاكٍ خاصّ وهذا الصوت يُسمَع ايضاً في البطّ وغيرهِ من الطير . وهو يُسمَع اولاً خفيفاً غائراً ثم يزداد قوّة وظهوراً وبعد ذلك يأخذ في الضعف شيئاً فشيئاً حتى ينقطع وبعد ثوانٍ قليلة يتجدد على الترتيب نفسهِ وهلمّ جرًّا ومنهُ يُعلَم كيف يتم الهضم في معدة الطير . وذلك انهُ عند بدء الصوت تكون الموادّ الصلبة المذكورة متخلّلةً بالطعام فيكون الصوت ضعيفاً ثم تتدانى بضغط جدران المعدة عليها فتتصاكّ وكلما انضمّ بعضها الى بعض ازداد اصطكاكها فيشتدّ الصوت فاذا هُضِم ما بينها من الطعام وردت عليها اجزآء اخرى منهُ ودخلت بين تلك القِطَع فعادت الى تفرقها وبطل الصوت بالتدريج ان ينقطع ثم يعود بضغط المعدة على ما ذُكر اولاً وهلمّ جرًّا . انتهى

الحكومة والمجتمع الانساني

لحضرة الاديب الكاتب نجيب افندي ماضي

من المعلوم ان المجتمع الانساني لا يمكن بقآؤهُ الا باجتماع افرادهِ وتعاونهم على تحصيل حاجاتهم ومعايشهم لان الانسان مدنيٌّ بالطبع واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المباراة في الاشغال والمسابقة في الاعمال فيتولد

فيهم الطمع ويمد كل فردٍ منهم يدهُ الى حاجتهِ يأخذها من صاحبهِ فيقع التنازع والاختلاف بينهم سنة الله في خلقهِ ويفضي ذلك الى المناهضة والمدافعة بالسلاح وربما انتهى الامر بهم الى تفريق مجتمعهم وتعطيل مصالحهم وعَدْو قويّهم على ضعيفهم حتى يقرض بعضهم بعضاً . فيستحيل بقآؤهم في حالةٍ فوضوية دون حاكمٍ يزع بعضهم عن بعض ويصلح ذات بينهم ويذود عن حقوق المظلوم منهم فترجع بذلك النفوس عن غيها ويستتب الأمن بانتشار لوآء العدل والمساواة بينهم ويعيشون بالدعة والسكون

فالحكومة اذاً هيئةٌ اوجدها الله وانتخبها افراد هذا المجتمع لتكف المطامع الشخصية وتحمل الناس على النصَفَة والسلوك في جادّة الحق وللذود عن الوطن والعمل في سعادة الرعية وتمهيد كل ما يؤول الى راحتها وحفظ حقوقها وبذلك يحق لها التسلط على الرعية وتنفيذ الاحكام عليها كما ان الرعية مجبرة على الطاعة والاذعان لها اذ هي الكافلة لحقوقها والمسؤولة عن جميع امورها والحاكمة بين افرادها بالعدل والمساواة

والحكومة على ثلاثة انواع اما ملكية او جمهورية او امارة . فالملكية هي الحكومة التي يرأسها شخصٌ واحدٌ وهو السلطان او الامبراطور كالدولة الروسية والعثمانية وغيرهما والجمهورية هي التي يقوم بامرها جميع الشعب على السوآء او من ينوب عنهم كجمهورية فرنسا والولايات المتحدة والبرازيل وغيرها . والامارة هي التي يوكل امرها الى الاعيان والاشراف لا يحق لسواهم من الرعية ان يتسنم منصة الاحكام بل يكون الحكم لهم بحق الارث ولسلائلهم من بعدهم يتولون مناصبها خلفاً عن سلفٍ الى ان تنقرض الاسرة

المالكة فيقوم مقامها من يماثلها في رفعة المقام وشرف المحتد او من يكون بينهُ وبينها صلة من القرابة

اما الحكومة الملكية فمنها الحكومة المطلقة وهي التي يستولي عليها رئيسٌ واحدٌ لهُ الحكم المطلق على رعيتهِ والسلطة المنفردة عليهم لا يشاركهُ فيها مشارك ولا يدفعهُ عنها مدافع ولكنهُ يستقل باحكامهِ معتبراً نفسهُ كواضع للقانون وهو فوق كل قانون . فهذا الرئيس اذا كان حكيماً عادلاً ذا عقلٍ ثاقب ورأيٍ اصيل خبيراً بسياسة الملك محباً لمصالح الامة محافظاً على حقوقها رفيقاً بها ذائداً عنها في جميع الامور الكلية والجزئية استنامت اليهِ واُشربت محبتهُ واستماتت دونهُ في محاربة الاعدآء فاستقام لها الامر من كل جانب ورتعت في بحبوحة العيش ولذة الحرية ورغد الحياة وآثرت السكون والدعة في ظل حاكمها او ملكها . واما اذا كان الرئيس المطلق من ذوي الآرآء السخيفة متصفاً بالصفات السيئة متبعاً شهواتهِ عاملاً على الجور والعسف بالرعية قاهراً باطشاً بالعقوبات ظالماً في الاحكام او كان صبياً قاصراً عاجزاً عن القيام بالملك محجوباً عن الناس الى ان يبلغ رشدهُ وزمام الاحكام مسلَّم الى من لا يبالي بزوال الملك من كفلائهِ او الى من يطمع في الملك من وزرآء ابيهِ وحاشيتهِ ومواليهِ عاد كل ذلك على المملكة بالتقهقر والانحطاط وافضى بها الى الخراب والدمار. فتخلع الرعية نير الطاعة او يضرب فيها عامل التفريق فتهيم على وجهها في الآفاق اذا وجدت من نفسها ضعفاً عن الايقاع بالحاكم وانتخاب سواهُ الى ان تجد مكاناً تعيش فيهِ تحت ظل الحرية والمساواة فتُقسِم على الطاعة لحاكمهِ وتعيش بالراحة والسكون

بعيدة عن المظالم والجور

ومن الحكومة الملكية المقيدة وهي ان لا يكون الملك مستقلاً في الاحكام مستبدًّا بالرعية بل يكون لهُ اعوان وانصار من ابنآء مملكتهِ يستعينهم في سياسة الملك ويستشيرهم في الاحكام متكلاً عليهم في تنفيذ مصالح الجمهور والذود عن حقوقهم والفصل في منازعاتهم على حسب الشرائع القويمة التي يسنونها للشعب فهذه الحكومة هي اقوم الحكومات مسلكاً واحكمها وضعاً وادعمها اساساً اذ انها مبنية على المشاورة في الامر وعدم الانفراد بالرأي بل الاستعانة بنواب الامة من ذوي العقل الثاقب والرأي الاصيل لوضع سنةٍ تتبعها الامة وعقابٍ تجازي بهِ كل من عصى وحاد عن جادة الحق والسراط المستقيم

وقد اسلفنا ان الحكومة هي الكافلة الوحيدة لحقوق الرعية والمساواة بينهم والملك قادر على اعطآء كل ذي حقّ حقهُ وفيهِ الكفآءة ان يؤتمن على حقوق رعيتهِ ولكن هذه الحقوق تكون آمن للشعب اذا كان قيادها مسلَّماً لهم او لنوابهم والملك رقيباً عليهم في حركاتهم وسكناتهم وبيدهِ السلطة لاصلاح ما فسد من آرآئهم بالبرهان الساطع والحجة الدامغة لا بالتعصب والاستبداد وبذلك تكون الشرائع والاحكام سديدة الوضع بعيدة عن التشويه كافلة لرضى الرعية عنها وطاعتهم لها فتثبت راسخةً على قواعدها لان الشعب نفسهُ قد اختارها بعد طول البحث والتنقيب اساساً للعدل والمساواة ومحوراً تدور عليهِ الالفة والاتحاد ونبراساً تستنير بهِ الامة لاتباع الخير واجتناب الشر

ولا يُكفل النجاح للامة في هذه الحال الا اذا كان المُلك يؤخذ بالوراثة خلفاً عن سلف لا بانتخاب الامة لان الملك يكون اذ ذاك اقدر على تنفيذ الامور التي يتاكد منها النجاح لرعيتهِ رغماً عما يراهُ من ممانعة الاكثرية لهُ ولا سيما في الاعمال المعجلّة التي لا يمكنهُ الوقت من تأليف لجنةٍ تبحث فيها وتتثبت من غايتها وحسن عاقبتها بل يغتنم الفرصة في اصدار الاوامر المشددة تاركاً البحث فيها الى ما بعد تنفيذها وبذلك يكون اقدر على تنفيذ ما يؤول الى راحة الرعية ونجاح الوطن مما اذا كان المُلك لا يتسنى الا بانتخاب الجمهور واتفاقهم عليهِ فانهُ في هذه الحال يكون مضطرًّا ان يتبع اهوآء شعبهِ وتنفيذ مطالبهِ خيراً كانت او شراً حفظاً لمركزهِ وضناً برئاستهِ الاسمية وثروتهِ الطائلة ولذلك نرى الامم عامةً قد اجمعت على ان يكون الملك محصوراً في اسرةٍ تتوارثهُ واحداً بعد الآخر معتقدة بان انتخاب الملك كان من الله او بالهامٍ منهُ ولذلك فان مركزهُ مقدس لا يباح لغير اسرتهِ وذوي العصبية منها ان يتسنموهُ

واما الجمهورية فقد كانت اول حكومة وضعتها الشعوب القديمة عند ما كانت في غاية من بساطة العيش والبعد عن الحضارة واستمرَّت الى يومنا هذا آخذة في الانتشار حتى باتت اكثر الممالك الاميركية وبعض الممالك الاوربية يحكمها الشعب بواسطة نوابهم . وهي على نوعين ارستقراطية وهي الحكومة التي يتولاها اولو الشرف والمحتد من الاهلين وقد كانت عامةً بين الاقدمين مستتبة القدم عندهم الا ان ظلها قد تقلص بين المتأخرين فنابت عنها الجمهورية الديمقراطية (او الشورَوية) وهي التي يتعاقب عليها اناسٌ من

افراد الشعب ممن يكون اهلاً لتولي ازمّة الاحكام لاصالة رأيهِ وفرط ذكآئهِ لا لشرف اصلهِ وعصبيتهِ وحسبهِ ونسبهِ كما هي الحالة في الجمهورية الفرنسوية والاميركية وغيرهما

فنرى مما تقدم ان الحكومة الجمهورية لا تقوم الا في مملكةٍ قد ربي اهلها على حب الفضيلة والحرية والذود عن الوطنية والابتعاد عن المطامع الشخصية وبلغوا من التمدن والعلم غايةً نبيلة تؤهلهم لارتقآء منصات الاحكام وخدمة اخوانهم في الوطنية خدمةً صادقة لا يتسلط عليها عامل التعصب فيفضي بها الى التقهقر والاضمحلال اذ ان ثباتها قائمٌ بثبات الهيئة الاجتماعية على التمسك بعرى الوطنية الوثقى مع الذود عن حقوق الامة ونشر العلوم بينها ودفعها الى حب التقدم والاقدام ولذلك نرى ان كل مملكةٍ تأسس اهلها على هذه الحقائق كانت حكومتها مبنية على قوانين الحكومة الجمهورية الا وهي المشاورة في الامر والانقياد لاحكام الجمهور والاذعان لآرآئهم الثاقبة وافكارهم القويمة

مثال ذلك المملكة الانكليزية وغيرها من الممالك المتوسطة فانها وان اصطبغت بصبغة الملكية فان احكامها منطبقة كل الانطباق على القوانين الجمهورية بل ان رئيس الجمهورية لهُ سلطة وهو في وظيفتهِ تفوق سلطة الملكة في انكلترا

وربَّ قائلٍ يعترض بان الجمهورية لم تثبت في العالم القديم والحديث زماناً الا وانتشر فيها عامل التفريق فنقض حبلها وهدَّ اركانها وذلك دليل على ضعف مبدئها وفسادهِ فعلى ذلك اجيب ان كل مملكة تشقى كما تشقى

العباد وتسعد اسيے انها يمرّ عليها طورٌ تتنعم فيهِ بالتقدم والنجاح فيكسب اهلها السعادة ورغد العيش والسلام ويمرّ عليها طورٌ تراها تتنازع البقآء فيهِ فيتهددها التلاشي والاضمحلال ويتغلبان عليها سنة الله في خلقهِ مهما اختلفت صبغتهم وتنوعت اخلاقهم وعاداتهم وهي تجريے بالسوآء على الحكومة الملكية والجمهورية في تنازع البقآء والتاريخ اكبر شاهد على تقلبات الامم واختلاف اطوارهم وهو الدليل الذي اظهر لنا سقوط الممالك بجهل ملوكها وفساد اخلاقهم كما اظهر لنا تقدم الجمهوريات بتقدم الامم في الفضيلة والعلم

اما الآن وقد عمّ التمدن وانتشر العلم في كل الاصقاع والامصار بحيث اصبح كلٌّ يعرف ما عليهِ من الواجب نحوهُ ونحو اخوانهِ فالحكومة الجمهورية لازمة لهُ على كل حال وهي اساس التقدم والعمران

الغاوية

من نظم حضرة الفاضل اللوذعيّ قسطاكي افندي الحمصي في حلب

برزتْ في مظهر الحسن لنا آيةً ابدعها ربّ الجمال
غادةٌ في لحظها كل المنى تفتن الناس بانواع الدلال
كم لها ما بيننا صبٌّ عميد

سلبت من صبها كل النُهَى فهو منها هائمٌ في كل واد
وهي تبغي كل يومٍ مُشتهَى ولها الفُ مَرامٍ ومُراد
اين منها ما يرجّي ويريد

خالَ ان القلب منها مرتهَن   في هواهُ فهْيَ لن تبغي سواه
فرأى الطاعة من خير السُنَن   لقضاها فازدرى مالاً وجاه
من طريفٍ قد حواهُ وتليد

***

فهْيَ يوماً ثوبَ ديباجٍ تروم   وهي يوماً تشتهي بعض الحُلِي
ولقد توشك ان تهوى النجوم   كلُّ ممنوعٍ بعينيها حلِي
من مفيدٍ كان ام غيرِ مفيد
وهي حيناً ذات صدٍّ ونفار   وهي حيناً في الاماني تُطمِعُ
وترى حيناً معاطاة العُقار   وهو غيٌّ ليس عنهُ ترجعُ
فيرى السكرَ وقد كان رشيد
وتقول اليومَ ميعادُ السباق   وبهذا الليل رقصٌ ولَعِبْ
وغداً يومُ اصطباحٍ واغتباق   ومسآءِ الغدِ فيهِ ننتهبْ
حظّ ساعاتٍ بعمر الدهر عيد
والى الالحان تصبو وهي في   ساعة الانس تثير الوَلَها
واذا ما وعدت ليس تفي   ولها بالصبِّ مكرٌ ولها
كلَّ يومٍ مطلبٌ غالٍ جديد

***

وهو من سكر هواها في جنون   ليس يثنيهِ كلامُ الناصحين
واليهِ حدّقت كل العيون   وهي تستغوي عقول الناظرين
بابتسامٍ او بغمزٍ من بعيد

قد جرى متَّبعاً غيَّ الغرور لا يرى في حبها عيباً يَصِمْ
حاسباً أنَّ نهاراً لا يدور وهو بالساعد منها معتصِمْ
يومُ بؤسٍ ما عليهِ من مزيد

ثمَّ لما علمتْ ان الفتى قداضاع العِرضَ فيهاوالذَهب
غادرتهُ ومضت قال متى ترجع الظبيةُ قالت ان وهَب
ربُّك الثروةَ والعيش الرغيد

هكذا قد ودَّعتهُ الغاويهْ بعد أن بذَّرَ فيها ما ملك
صاح لما أنْ رآها نائيهْ مَن رأى ابليسَ في ثوب مَلَك
اتلفت مالي وها عقلي شريد

تركتهُ في بكآءٍ وعويل ما رآهُ شامتٌ الا بكى
ومضت تصطاد للوقت خليل وتنادي انَّ مَن منا اشتكى
عُدَّ بين الناس مجنوناً بليد

ظنَّ هذا الغِرُّ غمزي بالعيون وابتسامي من جراهُ ولهُ
ليس يدري ان هاتيك الفنون حيلةٌ يَحسَبُ فيها وصلهُ
قصدَنا والمالُ مقصودٌ وحيد

ليت شعري كيف نَهوَى ثم مِنْ اين للغادات عهدٌ وذمام
او ثباتٌ والى مَنْ نطمئنْ ولنا في كلّ يومٍ مستهام
نتصبَّاهُ ومملولٌ طريد

نحن ربّات الهوى ليس لنا أرَبٌ الا بلبسٍ وقصوف
جاهلٌ من ظلّ يرجو وصلنا ورضانا بعد تبذير الالوف
وخلوّ الكيس من غنمٍ جديد

وامرؤٌ يحسب ان الغاويات قد بقي فيهنّ للحبّ شعور
ذاك مغرورٌ فما بعد الممات لحياة العشق يوماً من نشور
وقلوبُ الغيد حقّاً من حديد

حكمةٌ بل عِبرةٌ للمعتبر صوّرت باللفظ في ثوبٍ رقيق
تجلى بالضيآء المنتشر لبصيرٍ تخِذ الحقّ رفيق
وكفى بالحقّ خِلّاً وشهيد

مُتَفَرِّقَات

تأثير نبات التبغ في بصر الحيوانات — من غريب ما ورد في بعض جرائد استراليا ان طائفةً من الخيل كانت تُرسَل للرعي على عُدوة نهر درلنغ فاخذ بصرها يضعف شيئاً فشيئاً الى ان كُفَّ بتةً في مدةٍ تختلف بين سنةٍ وسنتين ثم ظهر بعد التحص ان هذا الدآء طرأ عليها بسبب تناولها اوراق نباتٍ من التبغ كان منتشراً هناك وهو ولا شك من تأثير السمّ المعروف في هذا النبات لكن من العجيب ان هذا السمّ لم يظهر تأثيرهُ الا في بصرها

وسائر جسمها صحيح . قالت وقد عولج اثنان منها على امل ردّ بصرهما لكن ظهر بعد جهد الامتحان انهُ غير قابل الشفآء

اسئلة واجوبتها

القاهرة — انا من مدرّسي اللغة العربية في المدارس الاميرية في مصر وقد قُضي علينا بموجب « بروجرام » نظارة المعارف الجليلة ان ندرّس في كتبٍ مخصوصة امرت النظارة المشار اليها بتأليفها وطبعتها على نفقتها . غير اني ما زلت ارى في تلك الكتب مواضع إشكال لا ينتهي علمي القليل الى حلّها ولا اجسر ان احملها على الغلط لان كل كتابٍ منها قد تولى تأليفهُ جماعةٌ من علمآئنا الاعلام واساتذتنا العظام و « قررت نظارة المعارف العمومية تدريسهُ لتلامذة المدارس التجهيزية (بعد) تصديق اللجنة العلمية بنظارة المعارف و (بعد) تنقيحهِ « بمعرفة » اللجنة « المشكلة بالنظارة » ... (تحت) رئاسة حضرة العلامة الفاضل ... « مفتش اول اللغة » العربية بنظارة المعارف العمومية » .....

وانا مع مزيد ثقتي باولئك العلمآء الافاضل واحترامي لهذه الهيئة الجليلة التي صدرت تلك المؤلفات محفوفةً بعظمتها وبهآئها لا اراني في غنىً عن الثقة من نفسي بفهم كل ما تتضمنهُ تلك المؤلفات والقدرة على تفهيمهِ بحيث اكون مدرّساً يفيد الطلاّب بما يلقيهِ اليهم عن بيّنة لا مدلّساً يركب بهم سبل التمويه والتغرير . ولما كنتم ممن لا يضنّ بعلمهِ على المستفيدين

وقد سبق لكم تنوير امثالي في مثل هذه المشكلات رأيت ان اقرع باب فضلكم في استيضاح بعض ما عرض لي من الشبهات في الكتب المذكورة فان منتتم ببيانها كنت لكم من الشاكرين واردفتها بغيرها مما يكون في حلهِ فائدةٌ لي ولاخواني من المدرّسين وفي يقيني انكم لا تأبون عليَّ ذلك لما اشتهر من غيرتكم على هذه اللغة الشريفة ووقفكم قلمكم على افادة السائلين والله يتولى مكافأتكم عن المستفيدين بمنهِ وكرمهِ

فمن تلك المشكلات ما جآء في الكتاب المسمى بدروس البلاغة (صفحة ٤) حيث قال مصنفو الكتاب ما نصهُ « فصاحة الكلمة سلامتها من تنافر الحروف ومخالفة القياس والغرابة » . قالوا « فتنافر الحروف وصفٌ في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها نحو الظشّ للموضع الخشن .. والنقاخ للمآء العذب » فاين التنافر في هذين اللفظين

ثم قالوا « ومخالفة القياس كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي كجمع بوق على بوقات في قول المتنبي

فان يكُ بعض الناس سيفاً لدولةٍ   ففي الناس بوقاتٌ لها وطبولُ

قالوا اذ القياس في جمعهِ ابواق » اه . وقد راجعت كتب اللغة فلم اجد احداً جمع البوق على ابواق لكن جآء في المصباح ما نصهُ « البوق بالضم معروف والجمع بوقات وبيقات بالكسر » انتهى كلامهُ ولم يزد عليهِ

ثم قالوا « والغرابة كون الكلمة غير ظاهرة المعنى نحو تكأكأ بمعنى اجتمع وافرنقع بمعنى انصرف واطلخمّ بمعنى اشتدّ » اه . وعلى هذا فكل لفظةٍ من غريب اللغة تعدّ مخالفةً للفصاحة وهذا يتناول اكثر شعر المتقدمين

بل كثيراً من شعر المولدين ايضاً ولا يخرج عنهُ بعض آي القرآن العظيم والحديث الكريم . فما قولكم في ذلك كله افتونا ولكم الاجر والثواب

(*

الجواب — هذه امورٌ اختلف فيها علماء البيان واطالوا فيها من البحث والاستدلال ولصاحب المثل السائر في هذه المسائل كلها كلامٌ طويل فراجعوهُ . على انهُ لم يقل احدٌ ان في الطشّ والنقاخ شيئاً من التنافر انما يمثلون بهذين اللفظين واشباههما على الكراهة في السمع مما هو صفة اللفظ الوحشيّ لا المتنافر لان التنافر هو ان يلتقي في الكلمة او بين الكلمتين حرفان يعسر على النطق الانتقال من احدهما الى الآخر كالشين والزاي في المستشزرات . وهذا اكثر ما يكون في الحروف المتقاربة المخرج كما في هذه الكلمة وكالعين والهاء في نحو قولك دَعْها مَعْها ولذلك سُمِع من العرب من يخلط هذين الحرفين ويأتي بهما من مخرجٍ متوسط بينهما فيقول دَحّا مَحّا بحاء مشدَّدة . ومن هذا القبيل قولهم يدَّعي في يدتعي وعِدّان في عِتْدان جمع عَتُود من المعزى وغير ذلك . ولا يتحقق التنافر بين الحرفين الا عند سكون اولهما كما رأيت في الامثلة ولذلك اذا تحرك الحرف الاول كما لو قلت المشزَّرات مثلاً بطل التنافر كما يشهد بهِ الامتحان وكذا لو قلت اودَعَها مَعَها بفتح العين فيهما لان الحركة تكون كالفاصل بين الحرفين فيعتمد عليها النطق في الانتقال من احد الحرفين الى الآخر وهذا ما غفل عنهُ صاحب المثل السائر وغيرهُ

واما البوقات في قول المتنبي فالذي أُخذ عليه فيها ان البوق لفظةٌ

مستهجنة لا ان جمعهُ على بوقات مخالفٌ للفصاحة ولا سيما انهُ هو الجمع المعروف لهُ في الاستعمال كما نقلتهُ عن المصباح فان كان ثمة ما يقال في هذا الجمع فهو كونهُ شاذًا لان البوق ليس من الالفاظ التي تُجمَع بالالف والتآء فهو في ذلك كالباجات في قولهم اجعل الباجات باجاً واحداً والشذوذ لا يوجب الخروج عن الفصاحة كما صرح بهِ علمآء هذا الفن . قال في المطول « والمخالفة ان تكون الكلمة على خلاف القانون المستنبَط من تتبُّع لغة العرب اعني مفردات ألفاظهم الموضوعة او ما هو في حكمها كوجوب الاعلال في نحو قام والادغام في نحو مدَّ وغير ذلك مما يشتمل عليهِ علم التصريف . واما نحو أبَى يأبَى وعَوِرَ واستحوَذ وقَطِطَ شعرُهُ وما اشبه ذلك من الشواذ الثابتة في اللغة فليست من المخالفة في شيء لانها كذلك ثبتت عن الواضع فهي في حكم المستثناة فكانهُ قال القياس كذا وكذا الا في هذه الصوَر . بل المخالف ما لا يكون على وفق ما ثبت عن الواضع نحو الأَجلَل بفك الادغام في قولهِ الحمد لله العليِّ الأَجلَلِ والقياس الاجلّ » انتهى

ومن هذا القبيل قول المتنبي

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا اعاتبهُ صفحاً وإِهوانا

فان القياس ان يقال اهانة كاقامة وقس على ذلك

واما الغرابة المنافية للفصاحة فقد حصرها صاحب التلخيص في شيئين احدهما ان تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال مع كونها ثقيلةً على السمع كريهةً في الذوق مثل تكأكأتم وافرنقعوا ومثل جحيش بمعنى فريد واطلخمّ الامر اسيء اشتدّ وجفخ اي فخر ومن

هذا ما تقدم ذكرهُ من الظشّ والنقاخ واشباههما . والثاني ان تحتاج الكلمة الى ان يخرَّج لها وجهٌ بعيد نحو مسرَّج في قول العجاَّج وفاحماً ومرسناً مسرَّجا فان استعمال المسرَّج هنا غير مألوفٍ في اللغة ولذلك اختلفوا في تأويلهِ فقيل مأخوذ من السراج يصف المرسن اي الانف بهِ على معنى انهُ مثلهُ في البريق واللمعان وقيل من السيف السريجي يشبههُ بهِ في الدقة والاستوآء . ومن هذا القبيل قول المتنبي ايضاً في وداع ابن العميد

جعلنَ وداعي واحداً لثلاثةٍ جمالك والعلم المبرِّح والمجدِ

فان المبرّح في صفة العلم غريبٌ لا يستقيم تأويلهُ الا على وجهٍ بعيد وكانهُ اخذهُ من قولهم برح الخفآء اي انكشف يريد الكاشف عن الحقائق قال الواحدي ولم يصف احدٌ العلم بالتبريح غير ابي الطيب . اه . وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والله اعلم

آثار ادبيّة

مبادئ الحساب — هو كتابٌ سهل المأخذ واضح المنهج تأليف حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان صاحب مكتبة الهلال قسمهُ الى جزءين ضمَّنهما القواعد الاربع مع الكسور واضاف اليها عدة فوائد في مصطلحات المعاملة وهو يباع في مكتبتهِ المذكورة وثمن الجزء الاول غرش واحد وثمن الثاني غرشان فنحث الطلبة على اقتنآئهِ ونثني على مؤلفهِ ثنآء طيباً

فكاهات

كفارة هائلة[1]

كان في باريز سنة ١٨٧٠ طبيبٌ يدعى الدكتور ريبو نحيف الجسم اصفر الوجه اصلع الرأس تنبعث من عينيهِ نظراتٌ جذابة تشفّ عن ذكاء باهر وتنبئ عن دماغٍ قد وعى الطبَّ والفلسفة في وقتٍ معاً وجملة منظرهِ تدلّ على انهُ رجل ميال الى الاحسان وفعل الخير وقد رأى من مصائب البشر وما تبتليهم بهِ الطبيعة من الادوآء والاسقام ما جعلهُ حنوناً شفيقاً يعطف على كل مريض ويميل الى معالجة كل عليل لا فرق عندهُ بين غنيٍّ وفقير . وكان في وقت الحادثة التي نرويها قد احرز ثروةً طائلة غير ان الغنى لم يبطرهُ ولم يبدّل من خلائقهِ كما نرى في كثيرين من الناس بل لم يستفد من غناهُ سوى جماعة الفقرآء فكان اذا دخل منزل مريض فقير يصف لهُ الدوآء ويوعز الى الصيدليّ باعطآئهِ اياهُ مجاناً ثم يترك لهُ شيئاً من المال يستعين بهِ على اتخاذ الغذآء الملائم لهُ وغير ذلك مما تقتضيهِ حالة المريض . وقصارى الكلام انهُ كان يعتبر الفقير مصاباً بمرضين مرض الفقر ومرض الجسم فيعالج المرضين ويداوي الدآءين هذا بطبهِ وذاك بمالهِ

وحدث في احد الايام انهُ دُعي لعيادة طفلةٍ تقيم مع والدتها في غرفةٍ رطبة قليلة النور والهوآء ليس فيها من الاثاث سوى سرير الوالدة ومهد

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم خليل افندي الجاويش احد منشئي جريدة الاهرام

الطفلة وكلاهما يدلّ على شقآء مبرّح وفقر مدقع والوالدة فتاةٌ لا يزيد عمرها على العشرين يدل اصفرارها ونحولها على انها من العاملات اللواتي يشتغلنَ طول النهار لكسب ما يسدّ الرمق ولكنها مع ذلك جميلة الوجه رشيقة القوام ذات شعرٍ ادكن طويل وانفٍ اذلف وفم صغير كانهُ خاتم عقيق وشفتين بلون المرجان . فعند ما دخل الطبيب عليها نهضت لتريهُ ابنتها واخبرتهُ بما تعلمهُ من امر مرضها فجسّ نبضها وعاين لسانها فرأى انها مصابة بحمى خفيفة ناشئة عن زكام شديد فوصف لها بعض ما يوصف في هذه الحال وانصرف على ان يعود في اليوم الثاني بعد ان اراح فكر المرأة من جهة ابنتها . وعند ما وصل الى منزلهِ شعر بحمى وآلام عصبية فلزم فراشهُ وبعث يستدعي احد رصفآئهِ لمعالجتهِ

وفي المسآء اشتدّ مرض الفتاة الصغيرة فجزعت والدتها ودعت امرأة فاضلة تدعى مدام مورو لتقوم على تمريض ابنتها فلما وقعت عينها عليها التفتت الى الوالدة وقالت لها ان ابنتكِ مصابة بالخناق (الدفثيريا) فيجب ان يستدعى لها طبيب في الحال وانا ذاهبة لاستدعآء الطبيب . ثم خرجت وسارت توًّا الى منزل الدكتور ريبو فعلمت انهُ مريض لا يقدر على مفارقة السرير وأُرشدت الى منزل صديقٍ لهُ يدعى الدكتور مارسل اتيان كان يقوم مقامهُ حينما يمرض او يغيب فاسرعت الى منزلهِ فقيل لها انهُ ذهب لعيادة مريض ولا يعلمون متى يعود فاخبرت خادمهُ بمكان المريضة ودارت تبحث عن طبيبٍ آخر فلم تجد طبيباً يرافقها في تلك الساعة من الليل فرجعت وهي في اشدّ حالات القلق

وفي صباح اليوم التالي اتى الدكتور مارسل وكان الدآء قد غيَّب الفتاة عن رشدها واطار عقل والدتها فاصيبت بنوبةٍ عصبية شديدة فاخذتها مدام مورو الى منزل بعض الجيران وقامت وحدها على تمريض الفتاة . فدنا الطبيب وفحصها فوجدها قد صارت الى حالة لا يكاد يرجى معها شفآء فكتب صفة دوآء لها وذهب هو نفسهُ واتاها بهِ وجرّعها اياهُ فتقيأت ولكنها لم تعد الى رشدها ولم تنخفض درجة حرارتها . ورأى انهُ اذا نقلها الى المستشفى توفيت قبل ان تصل اليهِ فخرج مسرعاً وعاد بانبوبٍ من المطّاط (الكاوتشوك) وادخلهُ في حلق الفتاة ووضع فمهُ على طرفهِ واخذ يمصهُ بجميع انفاسهِ فاندفقت منهُ موادّ صديدية منتنة وانتعشت الطفلة فعادت تتنفس براحةٍ وسهولة . واعاد الطبيب عملهُ حتى ايقن ان مسالك النفَس قد نظفت من كل مادّة فاسدة فكوى اطراف الحلق ليزيل الاغشية الكاذبة ووصف لها شراباً مسكناً للتشنج العصبي ووضعها على سريرها فرحاً مسروراً ثم تمضمض بمآء ممزوج بالخلّ وغسل وجههُ ويديهِ . ولما فرغ قالت لهُ مدام مورو هل بقي من خطرٍ على الفتاة فاجاب اما الآن فلا الا اذا طرأ عليها شيءٌ جديد يتلف ما عملتهُ . فقالت شكراً لك وصان الله شبابك فقد انقذت من الموت فتاةً لطيفة وحيدة لوالدتها ولا شك في ان هذه الوالدة ستطير فرحاً حينما تعلم بان ابنتها مارسل قد نجت من الخطر

فقال الطبيب وقد ظهرت عليهِ امارات الدهش وهل اسم الفتاة مارسل . قالت نعم . فدنا من سريرها وتفرس في وجهها وتأمل هنيهةً ثم قال وقد برقت اسرّة وجههِ وارتعش بدنهُ واظن ان اسم والدتها جنثياف .

فقالت نعم جنفياف لكلير . فملأ الدمع جفونهُ وقال لقد اصبت اذاً واين هي والدتها . فقالت عند الجيران واخبرتهُ بما كان من امرها فزادت دهشة الطبيب وصمت صمت من يفكر في امرٍ خطير ثم وصف دوآءً ودفع الورقة الى المرأة ومعها ورقة مالية بقيمة مئة فرنك وقال احضري هذا الدوآء واسقي منهُ والدة الفتاة جرعةً كل ربع ساعة الى ان تنام وعندما تستيقظ يتولاها البكآء وتطالب ان ترى ابنتها فقولي لها ان حالتها احسن وعندما تراها اخبريها انها خلصت من الخطر ثم قولي لها انني سازورها غداً واما الفتاة فلا تسقيها سوى لبنٍ فاتر . قال هذا وسار الى منزلهِ تعباً منهوك القوى ولبس ردآء النوم واستلقى على مقعدٍ ليستريح ولكنهُ شعر بحمّى لم تدعهُ ينام واخذهُ صداعٌ في رأسهِ ودوارٌ شديد ثم اخذ ينتفض من الحمى فانتقل الى سريرهِ واكثر من الاغطية فوقهُ ليستردّ الحرارة فظلّ بارداً كقطعةٍ من الثلج واصابتهُ اعراضٌ أُخر ايقن معها انهُ قد أُصيب بسمّ الدآء . ولما سكن قليلاً وتغلب عقلهُ على ذلك الخوف المركب في كل انسان نهض فجلس الى مكتبهِ وكتب رسالتين احداهما الى امين مالهِ وكاتم اسرار حسابهِ والاخرى الى الدكتور ريبو وهو من اصدقائهِ وهذا نصها

« ايها الصديق

انا مصابٌ بالدفثيريا وقد اعداني بها ولدٌ مريض وليس لي املٌ في الشفآء منها كما تعلم فاسألك ان تعجل في المجيء اليّ بصفة صديق لا بصفة طبيب

مارسل اتيان »

فسار الدكتور ريبو وهو حزين آسف وعند ما وصل الى منزل

صديقهِ وجدهُ واقفاً يخطر في الغرفة وصرير اسنانهِ يسمع من الباب لشدة الحمى فلما رآهُ مدَّ اليهِ يدهُ مسلماً وقال لهُ انني دعوتك لا لمعالجتي لانني عالم بانني مائت لا محالة وان دآئي لا دوآء لهُ ولكن لأُفضي اليك بسرّ حياتي الوحيد وأكِل اليك انفاذ مشيئتي الاخيرة بامانةٍ وحزم . فاخذ الدكتور ريبو يدهُ وضغط عليها علامة الوداد الاكيد وقال لهُ تكلم يا صديقي وسلني ما تريد فأُقسم لك على انفاذهِ كما تحبّ . فقال مارسل انني اخذت جرثومة المرض الذي سيودي بحياتي في الليلة البارحة وانت ترى كم برَّح بي الى الآن فقل لي الى متى ابقى مالكاً رشدي . فتفرس فيهِ الدكتور ريبو وقال الى اربع وعشرين ساعة فيما اظن . فقال مارسل وهو الذي اراهُ واحسّ بهِ من نفسي وها اني اشرح لك امري

كتبت الى امين مالي ان يكتب لي وصيّةً على مقتضى الاصول المرعية تقوم انت على انفاذها وبموجبها أهب كل مالي للفتاة مارسل لكلير وهي الفتاة التي اتاح لي القَدَر ان افديها بروحي . والسبب في ذلك انني ارتكبت جرماً عظيماً فقدِّر لي ان اكفر عنهُ بهذا الفدآء لان الفتاة هي ابنتي وقد احببت والدتها ثم فارقتها وتركتها عرضةً لكل شقآء وبلآء بسبب وشايةٍ ونميمة وتلك المرأة هي التي رأيتها انت قرب سرير ابنتها وقد اصيبت بهياجٍ دماغيّ شديد اورثها مرضاً ثقيلاً انوط بك معالجتها منهُ ثم لا بدّ ان ألقي اليك ما تخفف بهِ مصابها بعد ذلك وهو تاريخ ما سلف بيني وبينها منذ عرفتها الى هذه الساعة . وذلك اني كنت منذ اربع سنوات مقيماً بغرفة صغيرة في الطبقة الخامسة من منزل بشارع سان جاك وامامي باب غرفةٍ

تسكنها فتاةٌ وحدها وكانت تذهب كل يوم في الصباح فتأتي بشغلٍ لها وتعود مسآءً ومعها ازهارٌ منثورة بقصد حبكها فأرى لها قامةً رشيقة ووجهاً صبيحاً مليحاً ولكنني ما سعيت الى التعرف بهذه الجارة ولا هي سعت الى معرفتي . وحدث في مسآء احد الايام ان الحاجبة قرعت بابي وابلغتني ان الفتاة مصابة بألم شديد فلبست. واخذت من صيدليتي زجاجة من سائل الايثير وقرعت باب جارتي ففتحت لي الحاجبة فدخلت فرأيت الفتاة مستندةً الى مخدتين فسألتها عن مرضها وسقيتها قطراتٍ من السائل فانتعشت ولما رأيت عندها سكوناً وراحة كتبت لها صفة دوآء لليوم الثاني واوعزت الى الحاجبة بان تسقيها من السائل اذا تجددت نوبة المرض وعدت الى غرفتي

وبعد ايام عوفيت جارتي فأتت تقرع بابي ودخلت وقد صبغت وجهها حمرة الخجل فاجلستها على كرسي فجعلت تشكرني على معروفي وكان احمرارها يزداد حتى اوشك الحيآء ان يحبس لسانها عن الكلام. وكان في يدها قطعة من الذهب تقلّبها من اصبعٍ الى اصبع ولا تعرف كيف تقدمها اليَّ فعرفت سبب خجلها وضحكت وقلت لها بلطفٍ وبشاشة لقد ادركت ايتها السيدة ما هو غرضكِ من زيارتي واقول لكِ انني لا اقبل اجرة من جيراني وقد اكتفيت بشكرانكِ وحسبتهُ اكبر اجرةٍ لي عن صنيعي فلا تكوني خجلةً مني

فكررت شكرها وثنآءها بعباراتٍ هي آية اللطف والحشمة وعند ما نهضت للانصراف قالت لي انك لا نسآء عندك ولا بد انك تحتاج الى

مثلي لترتيب امتعتك وغسل ملابسك وما شاكل ذلك من الشؤون المنزلية وانا عاملة ماهرة فاذا اردت فسلم كل ما تريد غسلهُ الى الحاجبة واني آتي كل يوم وارتب مخدعك فقبلت وشكرتها فخرجت مسرورة . ومن ذلك الحين أخذت الالفة تصل اسبابها بيننا ثم تحوّلت الى حبٍّ فغرامٍ فهيام وكان اسم الفتاة جنفياف وعمرها اذ ذاك سبع عشرة سنة ولها رواء جمالٍ لم يغيرهُ الشقآء والفقر والتعب وقد اعجبني منها على الخصوص ادبها وحيآؤها وصبرها على مكاره الحياة وما هي فيهِ من البشاشة والطلاقة مع انفرادها وعزلتها وكانت كل مسآء تأتي الى غرفتي وتقوم بما لديها من العمل فاحسب الغرفة ترقص طرباً بوجودها وينير جمالها ظلام وحدتي فكانها ملَكٌ ارسلهُ الله لتعزيتي . فسوّل لي الحبّ مع ما انا فيهِ من الانفراد في غربتي تلك ان اتخذها زوجةً لي فاستأجرت لي منزلاً في بعض احيآء المدينة ولم البث ان عُقِد لي عليها وعشت وإياها عدة اشهر ونحن في اتمّ السعادة والغبطة

وفي تلك الاثنآء وردني كتابٌ من احد اقاربي يخبرني بان والدي الشيخ مريضٌ مرضاً ثقيلاً فلم اجد بدّاً من السفر لمشاهدتهِ والنظر في علاجهِ ان امكن وللحال تجهزت للرحيل فودعتني ودموعها تسقي خديها وقبلتني بحنوٍّ غريب كانها تراني لآخر مرةٍ في حياتها او حياتي وما زالت واقفةً تلوّح بمنديلها الابيض حتى غاب القطار عن بصرها

ولما وصلت الى وطني وجدت والدي سقيماً هزيلاً فجعلت اعالجهُ حتى قوي قليلاً واستردّ بعض العافية . وكنت اكتب كل يوم الى جنفياف فتجيبني على كل رسالة وفي صباح احد الايام وردني كتابٌ من احد معارفي

يذكر لي فيهِ انها قد لحقت بالنسآء الخليعات المتهتكات فهاج مني هائج الغضب وحب الانتقام وبعثت اليها برسالةٍ اوبخها فيها على خيانتها واخبرها انني لن اعرفها من بعد ولن ترى وجهي ولا رسائلي وختمت الرسالة بان قلت لها ان كتابي لا يصل اليها الا وانا قد قطعت اميالاً كثيرة على ظهر البحر مسافراً الى حيث لا تعلم ٠ ولما كان والدي قد تماثل من مرضهِ نهضت من ذلك اليوم وودعتهُ وانا لا اعلم الى اين اذهب لاني رأيت الدنيا قد ضاقت في وجهي واتفق وجود سفينة مسافرة الى اميركا فركبت وانطلقت السفينة بنا تمخر عباب البحر حتى انتهت الى نيويرك ٠ فاقمت بها نحو الشهرين وانا لا يطيب لي مقام ولا يهنأ لي عيش لما اثر عليَّ من تلك الصدمة وقد داخلني شيءٌ من الندم لانهُ خامر افكاري ان الامر قد يكون مكذوباً فيهِ فاخذت الوم نفسي على تسرُّعي في قطيعة من شاطرتها حظي وحياتي ولم يأخذني قرارٌ حتى صممت على الرجوع الى باريز والبحث عن الامر ٠ ولما وصلت اليها انطلقت توًّا الى المنزل الذي كنت استأجرتهُ وسألت عن جنڤياف فقيل لي انها قد اخلت المنزل منذ ثلاثة اشهر فباعت ما فيهِ من الاثاث وانطلقت بطفلها الى حيث لا يعلمون غير ان صاحبة المنزل قالت انها علمت منها ان لها عمةً في داخلية البلاد وانها ذهبت لتقيم عندها ٠ فوقع هذا النبأ عليَّ وقوع الصاعقة لاني علمت انها بريئةٌ مما اتُّهمت بهِ ثم شعرت كأن فؤادي قد انتُزع من بين جنبيَّ وتبع الطفل الذي ولدتهُ بعد غيابي وجعلت مذ ذاك اتنسم اخبارها فلم اقف لها على اثر ٠ وبعد ان طفت ما شآء الله في تفقد المظانّ التي قد تكون رحلت اليها ولم اصادف الا اليأس

رجعت الى باريز وعكفت على العمل علّي اجد بهِ راحةً لضميري وتخفيفاً لاحزاني حتى ساقني القدر الى معالجة ابنتي نفسها واراد الله تعالى وارادتهُ عدلٌ ان اضحّي حياتي في سبيلها دون ان ادري وها اني اموت فدآءً عنها وعن قليل سيبلغ والدتها خبر شفآئها وخبر موتي في وقتٍ معاً . ولما كان الموت ولا بدّ آتياً والوقت اضيق من ان اعاود جنفياف واستغفرها عن زلتي بل الخجل وحدهُ كافٍ لان يقتلني عند اول نظرةٍ مني لها فاني اكلفك ايها الصديق ان تقوم مقامي بين يديها فتستغفرها عن ذنبي وتعزيها عن فقدي وقد اوصيت بمالي للطفلة وانا اتكل عليك في انفاذ وصيتي وأنتظر الموت براحة واثقاً بانني قد كفَّرت عن جرمي موقناً بان جنفياف ستصفح عني من اجل ابنتها وان ابنتها لا تلعنني متى كبرت لانني اعطيتها الحياة مرتين وضمنت لها السعادة ورغد العيش . فتعاون يا صديقي مع امين مالي على تربيتها وتأديبها وابدل صداقتك لي بالعناية بها فاباركك حين مماتي كما كنت احبك في حياتي

وفي المسآء اشتدَّ المرض على مارسل ودخل في النزع حتى اذا طلع الفجر فاضت روحهُ محمولةً على بساطٍ من النور الى عالم الارواح ومقرّ الخلود

اما جنفياف فلم تستردّ رشدها الا بعد موتهِ بايام عديدة فتلطف الدكتور ريبو في ابلاغها خبر وفاتهِ وندامتهِ وما فعلهُ بتركتهِ فبكتهُ اشدَّ بكآءٍ وزادها موتهُ حسرةً على حسرة وكان جسمها قد انتحل وتواترت عليهِ الامراض بعد ما مرَّ بها من المحن فلم تلبث ان توفيت في شهر نوفمبر من

سنة ١٨٧١ فلحقت بزوجها ودُفنت بجانب مدفنهِ

***

ومن غرائب الاتفاق ان الدكتور ريبو تعرف بعد موت صاحبهِ بتاجر بلجيكي اتى باريس فقيراً وتعاطى الكتابة عند تاجر كبير يتجر ببضائع اميركا الجنوبية ومحاصيلها ثم اعتزل مخلفاً لكاتبهِ جميع انواع تجارتهِ فاستلم الكاتب المحلّ وتزوَّج ورُزق ولداً سماهُ ادمون . وكان ادمون يكثر من التردُّد الى منزل الدكتور فأحبَّ الفتاة مارسل وأحبتهُ ودرى الطبيب بما بينهما من الحب فاقترح على والد الفتى يوماً ان يزوجهُ بها فاستنكر الامر لاوَّل وهلة وكبر عليهِ ان يزوج ابنهُ بفتاة يتيمة لا يعرف والدها وان تكن كاملة العلم والادب . ولكن لما قصّ عليهِ الدكتور قصتها كما تقدم طار عقلهُ ذهولاً ودهشةً لانهُ عرف ان جنفياف هي شقيقتهُ وكانت قد غادرت منزل والديهِ على اثر وفاتها واتت باريز تطلب زرقاً نظيرهُ ولم يتسنَّ لهُ ان يراها ولا تسنى لها ان تراهُ فعاشا غريبين متباعدين في مدينة واحدة حتى حدث ما حدث وروى لهُ الدكتور ما روى فأحزنهُ وأفرحهُ . وبعد شهر عُقِد اكليل ادمون ومارسل وكانا كل اسبوع يذهبان مع الدكتور ريبو الى المدفن فيضعان باقة من الورد على قبر جنفياف ويضع الدكتور ضمة من البنفسج على ضريح صديقهِ ويسقيها بدموعهِ وكان قد حلف منذ اليوم الذي توفي فيهِ حبيبهُ ان لا يعالج الا اطفال الفقرآء الى ان اهاب بهِ داعي المنون فاجتمع الحبيبان في دار البقآء